بسم الله الرحمن الرحيم

الاستهلال

قال تعالى:

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾.

[آل عمران: ١٣٧، ١٣٨]

الإهداء

- إلى جيل النصر والتمكين الذي ترتقبه البشرية، وتهفو إلى مجيئه نفوسُ الأحرار.. كلّ الأحرار.
- وإلى الدّعاة الصامدين الصابرين الصادقين الذين بذلوا أرواحهم وأموالهم في سبيل نصرة الحقّ والحرية.
- وإلى كلّ مَن يضع لبنةً في ميدان علم السنن ليخرج جيلَ التمكين، ويمدّ الدعاة بقوانين الصمود والتمكين...

أهدي هذا العمل.

الشكرٌ والتقدير

- إلى دولة السودان، بلدنا الثاني على ما آوتْ وأكرمت....
- وإلى والديَّ الكريمين اللّذين كان أملهم أنْ يروا هذه اللحظات الطيبة لينعموا بغراسهم، ويسعدوا بثمرة تعبهم...
- إلى العالم الجليل فضيلة الأستاذ الدكتور الطاهر أحمد عبد القادر عرفانًا وشكرًا؛ على ما بذل من جهد وصبر، وذلّل من عسير وصعب..
- وإلى كلّ مَن أعانَ وأسهم، ولو بكلمة أو دعاء...

أسأل اللّه للجميع القبولَ والسّتر في الدنيا والآخرة.

تقديم

بقلم أ. د. محمد عمارة

في التاريخ الفكري للحضارة الإسلامية، تألق عددٌ من أعلام علماء الإسلام في سماء الفكر حتى أصبحوا مناراتٍ هادية، لا لعصورهم فقط، ولا لمحيطهم فحسب، وإنما لكلّ العصور وعلى امتداد أوطان عالم الإسلام.. بل وامتدت تأثيراتهم إلى ما وراء عالم الإسلام.. لقد مثّل كلٌّ واحدٍ منهم «ظاهرة فكرية» دائمة العطاء.. وضمنوا الخلود؛ لأنهم ارتبطوا بمصادر الخلود: البلاغ الإلهي الخالد- القرآن الكريم- والبيان النبوي لهذا البلاغ، سنّة رسول الله ﷺ... مع جمعهم بين الاجتهاد الفكري وبين الجهاد العملي في سبيل إعزاز دين الله وأمّة رسوله ودار الإسلام.

ولقد كان شيخُ الإسلام ابن تيمية (٦٦١- ٧٢٨هـ ١٢٦٣- ١٣٢٨م) واحدًا من صفوة هذه الصفوة من أعلام علماء الإسلام.

وإذا كان المقامُ لا يسمح بتفصيل الحديث عن حيثيات هذه الحقيقة- حقيقة تحوّل ابن تيمية إلى «ظاهرة فكرية» متعدّيةً للعصور والآفاق- فإنّ إشارات إلى بعض إجاباته على عددٍ من «مشكلات عصرنا وواقعنا المعيش» هي دليلٌ على حضور هذا العقل الذي رحل صاحبُه عن عالمنا قبل سبعة قرون.

إنّ عالمنا- في شرقه وغربه وشماله وجنوبه- لا يزال حائرًا حول علاقة العقل بالنقل.. فهناك مَن يطوون صفحة النقل عندما يطبّقون على الكتب السماوية نظرية «موت المؤلف»، ويحلّون تأويلات العزاء محلّ المقاصد الإلهية في الوحي الإلهي.

وهناك التأويلات الباطنية الغنوصية التي عمّمت التأويل العبثي، المنفلت من قواعد اللغة وثوابت العقيدة، فحوّلت كلّ الحقائق إلى مجازات وخيالات..

وهناك ردّ الفعل الذي وقف بأصحابه عند الجحود على ظواهر النصوص- محكمات كانت هذه النصوص أو متشابهات-.

وأمام هذا «المشكل- المعْضل» لا تزال إجابات شيخ الإسلام ابن تيمية حاضرةً ووافية وشافية.. فعنده: «أنّ ما عُرف بصريح العقل لا يُتصور أن يعارضه منقول صحيح قطّ.. ولقد تأمّل في ذلك في عامّة ما تنازع الناس فيه فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة شبهات فاسدات يُعلم بالعقل بطلانُها، بل يُعلم بالعقل ثبوتُ نقيضها الموافق للشرع. وهذا تأمّلته في مسائل الأصول الكبار، كمسائل التوحيد والصفات ومسائل القدر والنبوات والمعاد، وغير ذلك.

ووجدتُ ما يُعلم بصريح العقل لم يخالف لسمع قطّ، بل السمع الذي يُقال إنه يخالفه إمّا حديث موضع أو دلالة ضعيفة، فلا يصحّ أن يكون دليلا لو تجرّد عن معارضة العقل الصريح، فكيف إذا خالف صحيح المعقول؟.

ونحن نعلم أنّ الرسل لا يخبرون بمجالات العقول، بل يخبرون بمجازات العقول: فلا يخبرون بما يعلم العقل انتقاءه، بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته[1].

والقول كلّما كان فاسدًا في الشرع كان أفسد في العقل، فالحقّ لا يتناقص، والرّسل إنما أخبرت بحقّ، والله فطَرَ عباده على معرفة الحقّ، والرسل بُعثت بتكميل الفطرة لا بتغيير الفطرة.

قال الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾.

[فصلت: ٥٣]

فأخبر أنّه سيريهم الآيات الأفقية والنفسية المبينة لأنّ القرآن الذي أخبر به عباده حقّ، فتتطابق الدلالة البرهانية القرآنية والبرهانية العيانية، ويتصادق موجب الشرع المنقول والنظر المعقول..»[2].

(١) ابن تيمية: [بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول] ج١ ص٨٣، طبعة القاهرة الأولى ١٣٢١هـ.
(٢) ابن تيمية: [منهاج السنة النبوية] ج١ ص ٨٢ طبعة القاهرة الأولى ١٣٢١هـ.

وفي قدرة العقل على التحسين والتقبيح، وإدراك التحسين والتقبيح: «وإدراك الحُسن والقُبح في الأشياء لا يزال الجدل قائمًا.. ولحسم هذا الجدل العقيم نجد الإجابة الشافية في تراث شيخ الإسلام الذي يقول: «إنّ أكثر الطوائف على إثبات الحُسن والقُبح العقليّين.. وهذا قول الحنفية.. وهو قول كثير من المالكية والشافعية والحنبلية.. وكذلك أهل الحديث.. بل لقد ذكر هؤلاء أنّ نفي ذلك هو من البدع التي حدثت في الإسلام.. وقالوا: إنّ نفي الحُسن والقُبح العقليين مطلقًا لم يقله أحدٌ من سلف الأمّة ولا أئمتها، بل ما يؤخذ من كلام الأئمة والسلف في تعليل الأحكام وبيان حكمةِ الله في خلقه وأمره وبيان ما فيما أمر الله به من الحُسن الذي يُعلم بالعقل وما في مناهيه من القُبح المعلوم بالعقل، ينافي قول النّفاة.

والحُسن والقُبح من أفعال العباد يرجع إلى كوْن الأفعال نافعةً لهم وضارّةً لهم، وهذا مما لا ريب أنّه يُعرف بالعقل..

وأخصّ صفات العقل عند الإنسان أنْ يعلم ما ينفعه ويفعله، ويعلم ما يضرّه ويتركه، والمراد بالحُسن هو النافع، والمراد بالقُبح هو الضّار، فكيف يُقال: إنّ عقل الإنسان لا يميّز بين الحُسن والقُبح؟ وهل أعظم تفاضل العقلاء إلّا بمعرفة هذا مِن هذا؟ بل وجنس الناس يميل إلى مَن يتّصف بالصّفات الجميلة وينفر عمّن يتصف بالقبائح، فذاك يميل جنس الإنسان إلى سمع كلامه ورؤيته، وهذا ينفّر عن رؤيته وسمع كلامه..

إنّ العقل يحبّ الحقّ ويلتذّ به، ويحبّ الجميل ويلتذّ به، وإنّ محبّة الحمد والشكر والكرم هي من العقليات.. وإنّ للإنسان قوتين: قوة علمية فهي تحبّ الحقّ، وقوة عملية فهي تحبّ الجميل، والجميل هو الحُسن، والقبيح ضده.. »[1].

هكذا تألّق شيخ الإسلام ابن تيمية فيلسوفًا في العقلانية المؤمنة.. وفي الحسن والجمال.. يقدّم الإجابات الشافية والوافية على المشكلات التي لا تزال مثارة في واقعنا المعيش.

(١) ابن تيمية: [كتاب الردّ على المنطقيّين] ص ٤٢٠ – ٤٢٢ – ٤٢٩ – ٤٣٠ – ٤٣٣. طبعة دار المعرفة، بيروت.

- وفي الموقف من الغلو الديني، الذي أشبع أصحابه «ظاهرة التكفير» في واقعنا المعيش، نجد ابنَ تيمية حاضرًا بكلماته النفيسة التي يقول فيها:

«والذي نختاره أنْ لا نكفّر أحدًا من أهل القبلة».. والدليلُ عليه أنْ نقول: المسائل التي اختلف أهلُ القبلة فيها مثل:

أنّ الله تعالى هو عالم بالعلم أو بالذات؟

وأنّه تعالى هل هو موجدٌ لأفعال العباد أم لا؟

وأنّه هو متحيّز؟ وهل هو في مكانٍ وجهة؟ وهل هو مرئي أم لا؟

لا تخلو- [هذه المسائل]- إمّا أن تتوقّف صحة الدين على معرفة الحقّ فيها أو لا تتوقّف؟ والأوّل باطل؛ إذْ لو كانت معرفة هذه الأصول من الدين لكان الواجبُ على النبي- صلّى الله عليه وسلم- أنْ يطالبهم بهذه المسائل، ويبحث عن كيفية اعتقادهم فيها، فلمّا لم يطالبهم بهذه المسائل، بل ما جرى حديثٌ من هذه المسائل في زمانه عليه السلام ولا في زمان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، علمنا أنه لا تتوقّف صحّة الإسلام على معرفة هذه الأصول، وإذا كان كذلك، لم يكن الخطأ في هذه المسائل فادحًا في حقيقة الإسلام، وذلك يقتضي الامتناعَ عن تكفير أهل القبلة».

إنّ الكفر إنما يكون بتكذيب الرسول فيما أخبر به، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه..»[1].

هكذا نزع ابنُ تيمية فتيلَ التكفير من حقل الاختلاف حول هذه «المسائل الأصولية»، فأصبح الاختلاف فيها كالاختلاف في الفقهيات والسياسات لا تكفير فيه.. ووقفت معايير الاختلاف عند الخطأ والصواب، دونما تكفير.. لأن التكفير هو- فقط- تكذيب الرسول ﷺ، فيما أخبر به أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه.

(١) ابن تيمية: [بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول] ج١ ص٥٠، ١٤٤، ١٤٥.

ولقد أشار ابن تيمية- في دعم اجتهاده هذا- إلى أنّ هذا هو موقف العديد من أئمّة مذاهب أهل السنة والجماعة.

***

ولأنّ هذه هي حقيقةُ مكانة شيخ الإسلام- مكانة «الظاهرة الفكرية» المتعدّية للقرون والآفاق.. فقد استلهمَ أعلام اليقظة الإسلامية الحديثة- روّاد مدرسة الإحياء والتجديد- الفكر التجديدي لشيخ الإسلام، ليكون زادًا للبحث الإسلامي الحديث في مواجهة التغريب.. وفي مواجهة الجمود والتقليد.

- فرأينا الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] الذي لفت الأنظار إلى تراثنا في علم مقاصد الشريعة، وسعى لتجديد مناهج الفكر- يلفت الأنظار إلى تراث شيخ الإسلام ابن تيمية، فيشير بطبْع كتابيْه النفيسين: [بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول] و[منهاج السنة النبوية].. ويتصدّى للدفاع عن صاحبهما- ضدّ ظالميه وجاهليه- فيقول عنه: «إنه أعلمُ الناس بالسنة، وأشدّهم غيرةً على الدين.. ولقد قال فيه قومٌ يعدّون أنفسهم مسلمين: إنه ضالّ مُضل، وجاء على أثر هؤلاء مقلّدون يملئون أفواههم بهذه الشتائم.. وعليهم إثمُها وإثمُ مَن يقفوهم بها إلى يوم القيامة»[1].

- وعلى هذا الدّرب سار أعلامُ اليقظة الإسلامية على امتداد عالم الإسلام.. ففي الجناح الغربي لهذه اليقظة يقول الإمام محمد البشير الإبراهيمي [١٣٠٦ - ١٣٨٥هـ ١٨٨٩ - ١٩٦٥م] عن موقع شيخ الإسلام في مواجهة الفكر الخرافي المتحالف مع الاستعمار والاستلاب الحضاري:

«لا زلنا نلمح وراء كلّ داجية في تاريخ الإسلام نجمًا يشرق، ونسمع بعد كلّ خفتة فيه صوتًا يخرق، من عالم يعيش شاهدًا ويموت شهيدًا، ويترك بعده ما تتركه الشمس من شفق

(١) محمد عبده [الأعمال الكاملة] ج٣ ص ٣٥٩. دراسة وتحقيق د. محمد عمارة. طبعة دار الشروق - القاهرة ١٩٩٣.

يهدي السارين المدلجين إلى حين.. ولم يكن من الذين قرأنا أخبارهم، وتقّفينا آثارهم من علماء الإسلام مَن كان مثلًا مشهودًا له بشجاعة الرأي العام أكمل من الإمام أحمد بن تيمية.. الذي كانت كتبه عاملًا له أثره في التمهيد للدعوة الإصلاحية»[1].

ومع البشير الإبراهيمي- في الجناح الغربي لليقظة الإسلامية الحديثة- يقول الإمام عبد الحميد بن باديس [١٣٠٨ - ١٣٥٩هـ - ١٨٨٩ - ١٩٤٠م]: «إنّ كتب ابن تيمية وآراءَه لهي بابُ الشريعة الإسلامية»[2]. وفي الشام، يتحدّث الأستاذ محمد كرد علي [١٢٩٢ - ١٣٧٢هـ - ١٨٧٦ - ١٩٥٣م] الذي شبّه تجديد ابن تيمية للإسلام بتجديد مارتن لوثر [١٤٨٣ - ١٥٤٦م] للمسيحية-.. يتحدّث عن جهود الشيخ طاهر الجزائري [١٢٦٨ - ١٣٣٨هـ - ١٨٥٢- ١٩٢٠م] في إحياء تراث ابن تيمية لينهض بدوره في تزكية تيار اليقظة الإسلامية ببلاد الشام[3].

- وفي مشرق العالم الإسلامي، يتحدّث العلامة أبو الأعلى المودودي [١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ ١٩٠٣ - ١٩٧٩] عن مكانة المشروع التجديدي لابن تيمية في تاريخ التجديد والمجددين للإسلام.. فينوّه بنقده للمنطق اليوناني والفلسفة اليونانية.. وإقامة الأدلة والبراهين على استقامة عقائد الإسلام وأحكامه وقوانينه.. ورفعه النكير على التقليد والجمود.. ومزاولة الاجتهاد على طريقة المجتهدين في القرون الإسلامية الأولى.. والجهاد القوي والعنيف ضدّ البدع وتقاليد الشرك وضلال العقائد والأخلاق.. وما لاقاه في سبيل ذلك من المصائب العظمى.. مع الجهاد بالسيف ضدّ همجيّة التتار ووحشيتهم.

---

(١) محمد البشير الإبراهيمي. طبعة بيروت ١٩٩٧م.

(٢) [ابن باديس.. حياته وآثاره] ج٤ ص ١٥٧. جمعها وقدم لها د. عمار الطالبي. طبعة الجزائر ١٣٨٨هـ ١٩٨٦م.

(٣) المصدر السابق. ج٤ ص ١٥٦.

وينبّه المودودي إلى أنّ مشروع التجديد لابن تيمية لو قدّر له امتلاك الدولة التي تتبنّاه؛ لتغيّر مجرى الحضارة الإسلامية، ولما دخلت طور التراجع الذي مكّنَ منها الاستعمار الغربي في العصر الحديث[1].

- وفي مصر، قلب العالم الإسلامي.. وفي الأزهر الشريف، القبلة العلمية للأمّة الإسلامية، يقول شيخه الأكبر الإمام مصطفى عبد الرازق [١٣٠٢ - ١٣٦٦هـ ١٨٨٥ - ١٩٤٦م) عن ابن تيمية:

«إنّه شيخ المجدّدين في تاريخ الإسلام.. لقد دافع عن القياس، إذْ ليس في الشريعة شيء يخالف القياس، ولا في المنقول عن الصحابة الذين لا يُعلم لهم فيه مخالف، إذ القياس الصحيح دائرٌ مع أوامر الشريعة ونواهيها وجودًا وعدمًا.. كما أنّ المعقول الصريح دائرٌ مع أخبارها وجودًا وعدمًا، فلم يخبر الله ولا رسوله بما يناقض صريح العقل، ولم يشرع ما يناقض الميزان والعدل.. والأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم- إنما يخبرون بمجازات العقول لا بمجالات العقول.

ولقد كان نظر ابن تيمية في الكلام والتصوف والفسلفة نظرًا عميقًا، فكتبه تدلّ على سعة اطّلاعٍ على المذاهب الفلسفية وتاريخها، وحسن تصويره لما يعرض للردّ عليه من مذاهب الفلسفة ينبئ عن علمٍ وفهْم، وطريقته في جودة الترتيب والتقسيم والتبْيين لا تخلو من أثر الفلسفة.. كما كان نقده لما انتقد من المذاهب الفلسفية مستندًا إلى مخالفتها صريح المعقول، وليس لمخالفتها الدين فحسب..

ويضيف الشيخ الفيلسوف مصطفى عبد الرازق: «ولو أنّ دراساتنا المنطقية سارت منذ عهد ابن تيمية على منهاجه في النقد، بدل الشرح والتفريع والتعميق؛ لبلغنا بهذه الدراسات من التجديد والرقي مبلغًا عظيمًا».

---

(١) المودودي: [موجز تاريخ إحياء الدين وتجديده] ص ٧٣، ٧٦ - ٧٩. ترجمة: محمد كاظم سباق. طبعة بيروت ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م..

كما أشار شيخُ الأزهر إلى تميّز ابن تيمية وامتيازه بالجهاد- بالسيف- ضدّ أعداء الإسلام- التتار.. والنصيرية- الذين انحازوا إلى التتار والصليبيّين.

مع لفت الأنظار إلى ردّه على الصوفية القائلين بوحدة الوجود..»[1].

هكذا شهد أعلامُ اليقظة الإسلامية الحديثة لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولمنهاجه في التجديد الأصولي. والأصالة المجدة.. وهكذا استلهموا تراثه في البعث الإسلامي الحديث.

ولقد دفع ابن تيمية الأثمانَ الغالية من راحته وحريته في سبيل اجتهاداته وشجاعته الفكرية، فسُجن مرّات عدّة- بالقاهرة.. والإسكندرية.. ودمشق- حتى لقد صعدت روحُه إلى بارئها وهو سجين!..

ولقد أمضى بالسجن - ٧٢١هـ ١٣٢١م - خمسة أشهر وثمانية عشر يومًا بسبب فتواه بأنّ الطلاق الثلاث إنما يقع طلقةً واحدة.. وهي الفتوى التي اعتمدتها الأمّة الإسلامية الآن في سائر بلاد الإسلام!

***

تلك لمحةٌ- مجرّد لمحةٍ- إلى «الظاهرة الفكرية» التي تمثّلت في الاجتهاد الفكري وفي الجهاد العملي لشيخ الإسلام ابن تيمية.. الذي تألّق في تاريخنا الفكري منارةً هادية، عبّرت عنها كلمةُ الإمام محمد عبده: «إنّه أعلم الناس بالسنة، وأشدّهم غيرةً على الدين».

ولأنّ هذه هي حقيقة مكانة ابن تيمية في التراث المتجدد لحضارة الإسلام، كان مشروعه الفكري- وسيظلّ- ميدانًا للدراسات العلمية الجديدة والجادة.. ومنها هذه الدّراسة المتميزة والممتازة التي ارتادت صاحبتُها- الأستاذة وفاء عبد العظيم عبد الوهاب محمد- ميدانًا جديدًا

(١) مصطفى عبد الرازق: [الأعمال الكاملة] ج٣ت ص٥٦٩ - ٥٨٢. دراسة وتحقيق: د. عصمت نصار. طبعة القاهرة ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م..

من ميادين فكر شيخ الإسلام ابن تيمية.. ميدان علم السنن الربانية كما تجلّت في تفسيره للقرآن الكريم.. وهي شاهدٌ جديد على أنّ العطاء الفكري لابن تيمية كان- وسيظلّ- «ظاهرة فكرية» ملهمة، ومتعدّية للزمان والمكان، وذلك لارتباطها بالمعجز المحفوظ ربانيًّا- القرآن الكريم- والبيان النبوي لهذا النبأ العظيم.

رحم الله شيخَ الإسلام ابن تيمية.. ووفّق صاحبة هذه الدراسة الممتازة- التي نقدّم بين يديها- للمزيد من العطاء الفكري، الذي هو ميدانٌ عظيم من ميادين الجهاد في واقعنا الإسلامي المعيش.

دكتور
محمد عمارة
١٥ رمضان ١٤٣٩هـ
٣١ مايو ٢٠١٨

ملخص الكتاب

لقد قضت سنّة الله ورحمته بأمّة الإسلام أن قيّض لها مَن يجدّد لها دينها، ويرشدها إلى طريق ربّها، وشيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- مِن العلماء الربانيّين الذين جعلوا كتاب الله وآياته وسنة نبيه منهاجًا ونبراسًا يعيشون به ويدرّسونه للناس، وقد شغل شيخ الإسلام حياته كلّها بالعلم والفقه والتفسير والحركة والدعوة والجهاد بالقلم والسيف، كما أنه ترك لنا تراثًا ضخمًا فخمًا أثرى المكتبةَ الإسلامية في كافة المجالات، وخاصة التفسير وعلوم القرآن والسّنن الربانية. ولقد تناولت هذا مُستخدمةً المنهج التاريخي في مرحلة الحديث عن ابن تيمية وعصره والترجمة له والمنهج الاستقرائي في مرحلة جمع المعلومات والمنهج التحليلي النقدي في مرحلة الاستنباط والاستنتاج.

واشتملت هذا الكتاب على أربعةِ فصول، شملت حياته وعصره ومَن تأثّر بهم وجهودَه في التفسير وعلوم القرآن ومنهجه في التفسير، وتناولت جهوده في علم السنن الربانية من ناحيتي التأصيل والتطبيق، ولقد بيّنت أنّ شيخنا ابن تيمية له مكانته البارزة وتراثه الزاخر في التفسير وعلوم القرآن، وأنه قدّم لنا منهاجًا في التفسير جديدًا ومميزًا كان بمثابة المنبع الصافي لَمن جاء بعده مِن المفسّرين، فكان- بحقّ- مجدّدًا في طريقته وأدائه.

كما قدّم لنا حلولًا جِذرية لمشكلات الأمّة من خلال تناوله لعلم السنن تأصيلًا وتطبيقًا، وقد قدّم للأمة قناعات تطبيقية بأنّ حياتها كلها وسرَّ نجاحها وتقدمها مرتبطٌ بكتاب الله- عزّ وجلّ- فهمًا وتطبيقًا، وأنّ كتاب الله عزّ وجلّ زاخر بما ينفعها إلى يوم القيامة، رحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية وجزاه عنّا خير جزاء.

Abstract

It is according to Allah's Sunnah(His decree and laws) and out of His mercy to send for the Muslim Nation people who shall revive their religion and guide them to the straight path of their lord as the holy Prophet (PBUH) indicated in the following Hadith، "Allah shall send for this Ummah at the head of every hundred years a person who shall revive their religion for them" (Abu Dawood، Hakim، Baihaqi). Sheikh Al-Islam Ibn Tayymiyyah (May Allah be merciful to him) was one of the God-fearing scholars who took Allah's book، His verses، and the Sunnah of his messenger as a way and a guidance to live by and to teach to other people.

Sheikh Al-Islam Ibn Tayymiyyah spent his whole life occupied with knowledge، Fiqh (jurisprudence)، Tafseer (Exegesis of the Quraan)، dynamic effort، da'wa (missionary activity) and Jihad whether by tongue or sword. Also، he has left for us a great and lofty heritage that enriched the Islamic Library with masterpieces of volumes and books in all fields of knowledge، specially Tafseer (Exegesis of the Quraan)، the science of the Quran and divine Sunnan (divine laws). In this research، I will use the historical approach to talk about Ibn Tayymiyyah، his era، and his biography. Then I will refer to the inductive approach in collection

of information and critical analytical approach in both inference and deduction stages.

This thesis includes four chapters covering his life، his era، those who had influence on him، his effort in Tafseer (Exegesis of the Quraan) and the sciences of the Quran as well as his approach in Tafseer (Exegesis of the Quraan). It also addresses his efforts related to the divine Sunnan (divine laws) in terms of induction and application. This study has shown that Ibn Tayymiyyah holds a prominent position and has an abundant heritage in Tafseer (Exegesis of the Quraan) and the sciences of the Quran.

The study also proved that he has provided us with an innovative and distinguished approach in Tafseer (Exegesis of the Quraan). This approach is considered a pure source for the Exegete the (Al-Mufseroon) who came after him. He was a truly inventive in his methodology and style، May Allah be merciful to him، and reward him well.

based on such thesis، he provided us with fundamental solutions for this Ummah's problems through his approach for the divine Sunnan (divine laws) in terms of the induction and application. He also provided the Islamic Ummah with applied practical convictions that their lives and the secret of their success are connected to the understanding and application of Allah's book (Quran)، and that the Quran is full of benefits for this Ummah till the day of resurrection، May Allah be merciful to Sheikh Al-Islam Ibn Tayymiyyah، and reward him well.

مقدمة

الحمد لله، حمدًا كثيرًا مباركًا طيبًا مباركًا فيه، كما ينبغي لجلال وجه ربنا وعظيم سلطانه، ملء السموات وملء الأرض، وملء ما بينهما، كما يحب ربنا ويرضى.

يا ربي لك الحمد أولًا وآخرًا، ولك الحمد في كلّ وقت وحين، لك الحمد في السراء، ولك الحمد في الضراء، ولك الحمد في المنع والعطاء، ولك الحمد دائمًا أبدًا.

اللهم زوّدنا بالتقوى، وارزقنا العلم والخشية، وتوفّنا وأنت راضٍ عنّا، يا حنان يا منان.

أمّا بعد..

فإنّ من نعم الله على هذه الأمّة أنْ قيض لها- على تطاول الأعصار وتباعد الأمصار- مَن يجدّد لها دينها، ويرشدها إلى طريق ربها، ويهديها إلى صراطها المستقيم.

وشيخ الإسلام ابن تيمية مِن الذين شغلوا الدنيا فقهًا وتفسيرًا ودعوة وحديثًا وبيانًا وأدبًا، فالناظر في تراثه يجد أنه ترك تراثًا ضخمًا فخمًا يتوزع على: التفسير وعلوم القرآن، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والفتوى والدعوة والتربية، وغيرها.

وقد أثرى المكتبة الإسلامية في جانب التفسير وعلوم القرآن بعدد من الدراسات التحليلية والموضوعية، وفي القلب من ذلك قضية: «**السنن الربانية**»، التي تناولها في دراسات مفردة، وعاشها حركة وجهادًا، وعملاً وتطبيقًا، ودعوة، وعيشة حقيقية واقعية.

وهذه الدراسة لمحةٌ من لمحات الوفاء أكتبها عن هذا الإمام الحجة الذي أثرى الدراسات الإسلامية عامّة، والقرآنية خاصّة.

ويمكن بيان ذلك مِن خلال النقاط الآتية:

أولًا: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

وتبدو أهميةُ الموضوع في النقاط الآتية:

١ـ أهمية موضوع السنن الربانية وضرورته للأمة الإسلامية خصوصًا في مراحلها الراهنة.

٢ـ أنّ الوعي بالسنن الربانية والسير بها في الحياة يعالج كثيرًا من مشكلات الأمّة التي تغيّبت كثيرًا عن دورها الحضاري، ومهمتها الريادية لقيادة الأمم.

٣ـ الوعي بالسنن وقضاياها صورةٌ من صور تعميق الفهم لكتاب ربنا - عز وجل -، وتقديم الجديد في وعْيه، وصورة من صور ربطنا بمنهاج الله- تعالى- وشريعته.

٤ـ أن القرآن الكريم سيظلّ هو الدستور والمنهاج الذي يقدم باستمرار الحلول الدائمة لكافة قضايا البشرية، والتعمق في فهمه وتفسيره من زاوية السنن الربانية يفتح مجالات خصبة لدراسات جديدة في القرآن الكريم وعطائه.

ولدراسة هذه القضية أسبابٌ دفعتني إليها، منها:

١ـ أنّ شخصية شيخ الإسلام ابن تيمية شخصية عملاقة قلّ أن تتكرّر في تاريخنا المعاصر؛ فهو نموذج أمثل للشخصية التي تجمع بين العلم والتطبيق، مع توفّر الجانب الخلقي والسلوكي الذي يعيد لنا سيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين.

٢ـ أنّ ابن تيمية استطاع أنْ يقدّم تصورًا بديعًا عن السنن الربانية بصورتيه: التأصيلية والتطبيقية على حدٍّ سواء، فجمع في تراثه بين الوعي بها والتطبيق لها، وقلّ مِن العلماء مَن توفّر لديه هذا التمازج البديع بين التأصيل والتطبيق في علم السنن خاصّة.

٣ـ لابن تيمية جهودٌ مباركة في تفسير القرآن الكريم عامّة، وقضية السنن خاصّة، وله آراءٌ لها اعتبارها وتقديرها في نظر العلماء لا ينبغي إغفالها أو تجاوزها حتى نفيد منها.

٤ـ جمعَ ابن تيمية بين المنهج السلفي الأصيل والآراء الحرّة المستندة إلى الأدلة، فلا تعارض لديه بين صريح المعقول وصحيح المنقول، فأردت أن أبرز هذا النموذج الفذّ من خلال تلك القضية الهامّة؛ حتى يبين للرائي مدى سبق سلفنا الصالح في جوانب متعدّدة من الوعي والعمل.

ثانيًا: مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول بيان جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير القرآن الكريم في زاويةٍ من زوايا التجديد لديه، وهي زاوية السنن الربانية وآياتها.

ثالثًا: أسئلة البحث:

تدور أسئلةُ البحث حول سؤالٍ رئيس، هو: ما جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير القرآن الكريم؟ ومدى تطبيق ذلك على آيات السنن الربانية؟ ويتفرّع عن هذا السؤال الرئيس أسئلة أخرى فرعيّة، منها:

١ـ ما مدى تأثير عصر ابن تيمية عليه، ومَن أبرز مَن تأثّر بهم؟

٢ـ ما جهود ابن تيمية ومنهجه في التفسير وعلوم القرآن؟

٣ـ ما جهوده في علم السنن الربانية خاصة؟

٤ـ هل لديه جوانب تطبيقية من السنن الربانية، فحفل بها تراثه؟

رابعًا: أهداف الدراسة:

تكمن أهداف الدراسة في الإجابة على السؤال الرئيس الذي تعرّض له، وهو: ما جهود ابن تيمية في تفسير القرآن الكريم؟

وتتحقّق بالإجابة على أسئلته الفرعية، وهي بيان:

١ـ مدى تأثير عصر ابن تيمية عليه، وبيان أبرز مَن تأثر بهم.

٢ـ بيان جهود ابن تيمية ومنهجه في التفسير وعلوم القرآن.

٣ـ بيان جهود ابن تيمية في علم السنن الربانية خاصّة.

٤ـ بيان الجوانب التطبيقية من السنن الربانية في تراث ابن تيمية.

خامسًا: حدود الدراسة:

تقتصر الدراسة على بيان جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في التفسير، وخصوصًا جانب السنن الربانية منه، مُستعينة في ذلك- بعد الله- بتراث شيخ الإسلام، وما خلّفه من كتب، وما كتبَ عنه من دراسات وبحوث مفردة أو جماعية، خصوصًا ما يتعلّق بجانب التفسير وعلومه، وتفيد الدراسة من كلّ ما تستطيع أن تصل إليه من كتابات في هذا الجانب.

سادسًا: منهج البحث وأداته:

يعتمد البحث أكثرَ من منهجٍ في سبيل الوصول إلى مبتغاه حسب طبيعة كلّ مرحلة من مراحله، فيعتمد المنهج التاريخي في مرحلة الحديث عن عصر ابن تيمية والترجمة له، ويعتمد المنهج الاستقرائي في مرحلة جمع المعلومة، والمنهج التحليلي والنقدي في مرحلة الاستنباط والاستنتاج.

سابعًا: هيكل البحث:

هذا وقد قسّمت تلك الدراسة بعد المقدّمة إلى أربعةِ فصول وخاتمة:

الفصلُ الأول

ابن تيمية.. حياتُه وعصره وأبرز مَن تأثّر بهم

وفيه ثلاثةُ مباحث:

- **المبحث الأول:**

اسمه ونسبه، حياته ونشأته وشخصيته السياسية.

- **المبحث الثاني:**

عصره.

- **المبحث الثالث:**

تكوينه العلمي وعطاؤه الفكري.

- **المبحث الرابع:**

ثناء العلماء عليه.

الفصلُ الثاني

جهود ابن تيمية ومنهجه في التفسير وعلوم القرآن

(الجانب التأسيسي)

وفيه مباحث:

•المبحث الأول:

منزلة ابن تيمية في التفسير.

•المبحث الثاني:

تصنيف نوعي لمؤلفات ابن تيمية في التفسير.

•المبحث الثالث:

منهجه في التفسير وعلوم القرآن.

•المبحث الرابع:

مصادر ابن تيمية في التفسير.

•المبحث الخامس:

أثر ابن تيمية فيمَن جاء بعده من المفسرين.

•المبحث السادس:

شيخ الإسلام ابن تيمية وعلوم القرآن.

•المبحث السابع:

ألوان التفسير لدى شيخ الإسلام ابن تيمية.

الفصلُ الثالث

جهودُه في علم السنن الربانية

وفيه مباحث:

• المبحث الأول:

روافد علم السنن عند شيخ الإسلام ابن تيمية.

•المبحث الثاني:

التدبّر السنني عند شيخ الإسلام ابن تيمية.

•**المبحث الثالث:**

تعريفه لعلم السنن.

•**المبحث الرابع:**

خصائص السنن الإلهية عند شيخ الإسلام.

•**المبحث الخامس:**

حجيّة السنن الربانية عند شيخ الإسلام ابن تيمية.

•**المبحث السادس:**

بين السنن الإلهية الجارية والمعجزة عند شيخ الإسلام ابن تيمية.

•**المبحث السابع:**

العلاقة بين المسطور والمنظور عند شيخ الإسلام ابن تيمية.

•**المبحث الثامن:**

السنن الربانية والإرادة الإلهية.

•**المبحث التاسع:**

كيفية الاستدلال على السنن الإلهية.

•**المبحث العاشر:**

أنواع السنن الإلهية عند شيخ الإسلام ابن تيمية.

الفصلُ الرابع

الجوانبُ التطبيقية مِن السنن الربانية في تراث ابن تيمية

وفيه مباحث:

•**المبحث الأول:**

سنة الله في الأسباب والمسببات.

•المبحث الثاني:

سنة الله في الاختلاف.

•المبحث الثالث:

سنة الله في المتساوين والمختلفين.

•المبحث الرابع:

سنة الله في الفرقان بين الحقّ والباطل.

•المبحث الخامس :

سمة الله في الهدى والضلال والرشد والغي.

•المبحث السادس :

سنة الله في الابتلاء.

•المبحث السابع:

سنة الله في الخائنين للأمانة.

•المبحث الثامن:

سنة الله في التسخير.

•المبحث التاسع:

سنة الله في السعادة والشقاء.

•المبحث العاشر:

من سنن الله في خلقه أن جعل لهم أميرًا ولا يصلح حالهم إلّا بهذه الإمارة.

•المبحث الحادي عشر:

من سنن الله في الأمّة المسلمة.

- **المبحث الثاني عشر:**

سنة الله في قبول الأعمال.

- **المبحث الثالث عشر:**

من سنن الله في العدل.

- **المبحث الرابع عشر:**

سنة الله في النصر والهزيمة.

- **المبحث الخامس عشر:**

سنة الله في الغرابة.

- **المبحث السادس عشر:**

سنة الله في التمكين.

- **المبحث السابع عشر:**

سنة الله في الاستبدال.

- **المبحث الثامن عشر:**

سنة الله في التدافع.

- **المبحث التاسع عشر:**

سنة الله في أوليائه.

- **المبحث العشرون:**

سنة الله في الأنبياء.

- **المبحث الحادي والعشرون:**

سنة الله في التداول.

•المبحث الثاني والعشرون:

سنة الله في الكافرين والمشركين.

•المبحث الثالث والعشرون:

سنة الله- تعالى- في المظهرين للإيمان.

•المبحث الرابع والعشرون:

سنة الله فيمَن يعرض عن ذكره.

•المبحث الخامس والعشرون:

سنة الله في شانئ الرسول.

•المبحث السادس والعشرون:

مِن سنن الله- تعالى- في المخلوقات أنْ خلقهم أزواجًا وأقرانًا.

•المبحث السابع والعشرون:

سنة الله في الأنفس.

•المبحث الثامن والعشرون:

سنة الله في المحبة والكراهية.

•المبحث التاسع والعشرون:

سنة الله في إهلاك الأمم.

•المبحث الثلاثون:

سنة الله في بقاء الأمم.

•المبحث الحادي والثلاثون:

سنة الله في التغيير.

•**المبحث الثاني والثلاثون:**

التوازن عند شيخ الإسلام ابن تيمية.

•**المبحث الثالث والثلاثون:**

منهجية شيخ الإسلام ابن تيمية في عرض السنن.

•**المبحث الرابع والثلاثون:**

ملاحظات حول السنن لدى ابن تيمية.

الخاتمة: وشملت نتائج البحث والتوصيات.

فهرس المراجع والمصادر.

فهرس الموضوعات.

والله من وراء القصد.